تلخيص الدرس الرابع لمادة علوم القرآن

- الوحي يندرج تحت محور نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ

نزول القرآن الكريم :

المقصود به نزول القرآن الكريم في اللغة:

النزول في اللغة هو: الانتقال من الأعلى إلى الأسفل ونحن نتحدث عن نزول القرآن الكريم من الله -سبحانه وتعالى- إلى النبي ﷺ

كيف كان ينزل القرآن على النبي ﷺ؟

أقوال العلماء في نزول القرآن الكريم ، كيف كان نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ ؟

النبي ﷺ كان في غار حراء وجاءه جبريل -عليه الصلاة والسلام- لأول مرة ،هو لم يلقَ جبريل من قبل وفوجئ ﷺ بجبريل فلما سمع النبي ﷺ أول القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ﴾ [العلق 1-3] كان هذا أول لقاء بين النبي ﷺ وبين جبريل -عليه الصلاة والسلام- وجبريل هو أمين الوحي وهو الملك الموكل بالوحي هو الذي ينزل بالوحي على النبي ﷺ وهو الذي كان ينزل بالوحي على الأنبياء السابقين .

آيات في القرآن الكريم تشير إلى النزول

1. يقول الله -سبحانه وتعالى- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]
2. يقول الله -سبحانه وتعالى- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[الدخان: 3]
3. يقول الله -سبحانه وتعالى- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]

- هل هناك تعارض بين هذه الآيات آية تقول في ليلة القدر وآية تقول في ليلة مباركة وآية تقول في شهر رمضان؟

الصواب: أنه ليس هناك تعارض لأن ليلة القدر هي ليلة مباركة وهي في شهر رمضان فهذا جمع بين هذه الآيات الثلاث

دراسة الآيات الثلاث

هذه الآيات الثلاث تحتمل معنيين

جاء عطية بن الأسود وهو من التابعين فسأل ابن عباس -رضي الله عنهما- فقال: إنه قد وقع في قلبي الشك في قول الله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: 185] وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: 3]

لماذا وقع في قلب عطية الشك ؟

قال: وقد أُنزل القرآن في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وفي صفر وفي شهر ربيع الأول. فكيف نفهم هذه الآيات الله يقول هنا ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾.

الذي كان يعرفه الصحابة أن القرآن كان ينزل في شوال وذي القعدة وذي الحجة وفي ربيع أول وفي رجب فما معنى هذه الآيات؟

قال له ابن عباس -رضي الله عنهما- ﴿إنه أنزل في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام﴾

هذه الآيات التي ذكر الله فيها نزول القرآن للعلماء لهم فيها قولان:

القول الأول: أن المقصود بالآيات الثلاث: هو أن الله أنزل القرآن الكريم جملة واحدة في ليلة القدر وفي شهر رمضان ، نزل به جبريل من الله -سبحانه وتعالى- إلى "بيت العزة" في السماء الدنيا

القول الثاني: أنه المقصود بالآيات الثلاث: ابتداء نزول القرآن الكريم في رمضان ثم بعد ذلك تتابع في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وبقية شهور السنة

القول الراجح والمشهور والذي عليه أكثر العلماء هو: القول الأول أنه أنزل جملة واحدة من السماء إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك مفرقًا على حسب الوقائع والأحداث

الدليل الأول :دلالة الواقع لأنه كان ينزل حسب الواقعة والأحداث في كل شهور السنة.

الدليل الثاني: دليل من القرآن الكريم في قوله –سبحانه وتعالى– ﴿وقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: 32] يعني مرة واحدة مع بعض فقال الله ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾

خلاصة

لنزول القرآن الكريم نزولان

- النزول الأول : من السماء إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة
- النزول الثاني: نزول مفرق من الله –سبحانه وتعالى– إلى النبي ﷺ

إشكال :

قلنا أن القول الراجح في هذا هو قول ابن عباس وأنه نزل القرآن الكريم جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا وهذا القول لم يُحفظ إلا عن ابن عباس فقط وهذا قول لا بد له من قول معصوم يعني ينبغي أننا لا نقول أن القرآن نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا إلا إذا أخبرنا بذلك الله أو الرسول ﷺ وليس هناك حديث يدل على هذا الرأي وإنما هو مجرد رأي قاله ابن عباس

الجواب:

عبد الله بن عباس فعلاً هو الذي انفرد بهذا القول ولكن لم يخالفه أحد من الصحابة ومن التابعين كلهم وافقوه

علماء الحديث لهم ضابط مهم جدًا في مثل هذه الأحاديث :

يقولون: إذا كان القول الذي انفرد به الصحابي أو الذي قاله الصحابي لا مدخل للرأي فيه لا يمكن أن يأتي به بعقله برأيه فإنه يكون له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ

إذن قول ابن عباس هنا "أن القرآن نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا" هذا لا يمكن أن يكون اجتهادًا من ابن عباس أبدًا لأنه لا مدخل للعقل في هذه الأشياء هذه الأشياء ما تُعرف إلا بالوحي فما دام انه قاله ولم يخالفه أحد بل أكثر العلماء الذي جاؤوا بعده يوافقونه في هذا من الصحابة ومن التابعين وهذا هو سبب قبولنا لهذا القول عن ابن عباس

الراجح وهو أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا وهو الذي عليه أكثر العلماء واختاره الأئمة مثل الطبري والسيوطي وابن تيمية والقرطبي والآلوسي حكى القرطبي الإجماع على ذلك وقال أن هذا القول هو الذي عليه الإجماع.

ما الفرق بين نزول الكتب السماوية السابقة التوارة الإنجيل الزبور وبين نزول القرآن الكريم؟

المشهور عند العلماء: أنها نزلت جملة واحدة .

لما ذهب موسى –عليه الصلاة والسلام– للقاء ربه فأنزل الله عليه التوراة وأعطاه إياها مكتوبة في ألواح والله كتبها لموسى بيده ولذلك قال: ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلَامِي﴾[الأعراف: 144] وقال ﴿وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: 150]

فموسى أخذ التوراة مكتوبة في ألواح أما النبي ﷺ فقد نزل عليه القرآن مسموعًا لم ينزل عليه مكتوبًا وإنما كان جبريل يسمعه النبي ﷺ والنبي يحفظه في صدره ثم يسمعه الصحابة -رضي الله عنهم- ويأمرهم بكتابته

ففي نزول القرآن الكريم جملة واحدة إلى السماء الدنيا في بيت العزة في السماء الدنيا فيه نوع من مشابهة نزول الكتب السماوية السابقة

التوراة نزلت جملة واحدة عليك يا موسى أيضًا القرآن نزل جملة واحدة ولكن لم ينزله على محمد وإنما تركناه في السماء الدنيا في بيت العزة في السماء

ما هي الحكمة والفائدة من نزول القرآن الكريم جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا؟

النبي ﷺ ما كان يستفيد من وجود القرآن في بيت العزة في السماء الدنيا بحيث أنه كلما نزل الوحي عن النبي ﷺ جبريل لا يأخذه من بيت العزة مباشرة وينزل به على النبي ﷺ أبدًا والنبي لم يكن يعلم ما الذي في بيت العزة قبل نزوله وإنما كان النبي ﷺ ينتظر كلما جدَّ شيء في الأمور أو سأل سائل عن أمر أو وقعت حادثة كان ينتظر الوحي من جبريل -عليه الصلاة والسلام- كان جبريل يسمع القرآن مباشرة من الله ثم ينزل به إلى النبي ﷺ دون أن يرجع إلى بيت العزة في السماء الدنيا ليأخذ منه القرآن ولذلك يخطئ مَن يقول: أن جبريل كان ينزل بالقرآن من بيت العزة في السماء الدنيا إلى النبي ﷺ فهذا غير صحيح إنما كان ينزل به من الله مباشرة.

الفائدة الأولى: إنزال القرآن الكريم وهو الكتاب المقدس عند المسلمين وهو معجزة النبي ﷺ إلى بيت العزة في السماء الدنيا تعظيمًا لمكانة الأمة الإسلامية وانها ذات شأن.

الفائدة الثانية: تعظيمًا لشأن القرآن الكريم نفسه

الفائدة الثالثة: تعظيم شأن النبي ﷺ حتى تعرف ملائكة السماوات قدر النبي ﷺ عند الله -سبحانه وتعالى- فقد أُنزل عليه القرآن مفرقًا وجملة واحدة أيضًا.

الفائدة الرابعة: إعلام أهل السماوات السبع والملائكة أن هذا الكتاب وهو القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-

الفائدة الخامسة: نزول القرآن جملة واحدة فيه إشارة إلى أن الله -سبحانه وتعالى- علام الغيوب. القرآن الذي في بيت العزة في السماء الدنيا فيه ما في القرآن كاملاً وفيه حوادث لم تقع بعد موجودة في هذا القرآن

مثلاً: الله -سبحانه وتعالى- يقول ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: 1]

هذه الآيات موجودة في القرآن في بيت العزة في السماء الدنيا قبل أن تقع في الواقع ولا شك أن علم الله -سبحانه وتعالى- له خصائص: منها: أنه غير مسبوق بجهل -سبحانه وتعالى- وأنه غير متبوع بنسيان وان الله -سبحانه وتعالى- "يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون "

الفائدة السادسة: أن القرآن الكريم فيه خصوصية على الكتب السماوية أنه نزل جملة واحدة ونزل مفرقًا

خلاصة مسألة كيفية نزول القرآن على النبي ﷺ

نزل به جبريل -عليه الصلاة والسلام- جملة واحدة ونزل به أيضًا مفرقًا على النبي ﷺ على حسب الوقائع والأحداث فكانت تقع الحادثة ﷺ فينزل القرآن الكريم بشأنها

مثلاً: لما كان النبي ﷺ في معركة بدر فوقعت المعركة فلما انتهت المعركة وجد الصحابة -رضي الله عنهم- الغنائم التي غنوموها من المشركين

سؤال: يا رسول الله كيف نقسم الغنائم؟ ما عنده جواب ﷺ لأنها أول مرة تحصل هذه الحادثة أول مرة يكون فيه غنائم للجيش المسلم

فأنزل الله -سبحانه وتعالى- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: 1]

فلما يأتي النبيﷺ الجواب وهو في حاجة ماسة إليه ،وقعت الحادثة ويريد الجواب فيأتيه الجواب فهذا أبلغ في التعليم وفي التربية من أنه ينزل عليه القرآن الكريم كاملاً ،النبي ﷺ عندما ياتي سؤالا عن الأنفال يأتي النبي ﷺ يفتح سورة الأنفال ويقول: والله الجواب أنكم تفعلوا كذا وكذا كما كان في عهد موسى -عليه الصلاة والسلام- عنده التوراة موجودة كاملة أي سؤال موسى عليه السلام يجيب من التوراة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: 44]

تقع حادثة الأنفال يسألون النبي ﷺ النبي ﷺ لا يجيب لأنه لا يعلم الغيب ولا يتكلم من تلقاء نفسه ما يتكلم ﷺ بمجرد الهوى وإنما يتكلم بالوحي في وحي أجاوبك ما في وحي الله أعلم.

بعض الحوادث وقعت والنبي ﷺ انتظر الوحي وطال انتظاره

مثلاً: في قصة الإفك التي اتُهمت فيها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بقي النبي ﷺ ينتظر الوحي شهرًا كاملاً والناس يتكلمون في عرضه ﷺ ويتهمون زوجته عائشة -رضي الله عنها- بالفاحشة وهو لا يعرف ما الجواب ويقول لزوجته عائشة -رضي الله عنها-: يا عائشة إن كنتِ ألممتِ بذنب فتوبي إلى الله واستغفري الله فلو كان الوحي من عند النبي ﷺ كما يقول المستشرقون والمشركون:فهل كان سينتظر شهر كاملا ثم يجب الناس؟ لا لو كان هو الذي يتكلم بالقرآن كان مباشرة جاءه وقال: لا أبدًا عائشة لم تفعل وإن الذي جاؤوا بالإفك عصبة منكم لكن بعد شهر كامل ينزل الجواب.

فائدة نزول القرآن على حسب الوقائع والأحداث

يكون أبلغ في التربية وأبلغ في الفهم وأبلغ في الحفظ وأسهل لأنك تاتيك هذه الأجوبة وانت في أحوج ما تكون إليها فتحفظها ولا تنساها أبدًا وأبلغ في تهذيب أخلاق الصحابة -رضي الله عنهم وكان هذا منهج النبي ﷺ حتى في تعليم الصحابة -رضي الله عنهم- يعني الصحابة الكرام يقولون: "كنا لا نجاوز عشر آيات حتى نتعلم ما فيها من العلم والعلم فتعلمنا الإيمان والعلم والعمل جميعًا "ونحن نقول اليوم: هذه الطريقة النبوية في تعليم القرآن الكريم هي الطريقة المثلى حتى نستفيد من القرآن الكريم على أكمل وجه نتدرب على ما فيه من المعاني ونفهم ما فيه من الأحكام والحكم وفي نفس الوقت يرسخ في أذهان الحفاظ وفي قلوب العاملين والمتدبرين

قالت عائشة -رضي الله عنها- : "أول ما نزل من القرآن الكريم الآيات التي فيها الإيمان وتثبيت الإيمان وتثبيت العقيدة في نفوس الناس حتى إذا تاب الناس -يعني استجابوا لأمر الله- وآمنوا وانقادوا أنزل الله الحلال والحرام" وإلا لو كان الله أنزل مباشرة تحريم الخمر و الفواحشوعبادة الأصنام فالناس بطبيعتهم لا يحبون ترك العادات التي تعودوا عليها فسيكونون رفضوا هذا تمامًا

من هو الواسطة في نزول القرآن الكريم ؟

الواسطة هو جبريل -عليه الصلاة والسلام- فقط ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء 193-194].

مسألة:

قول الله-سبحانه وتعالى- ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: 106] وهناك قراءة أخرى ﴿وقرآنا فرَّقناه﴾ من التفريق يعني ﴿لتقرأه على الناس على مكث وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾

من حكم إنزال القرآن الكريم مفرَّقًا على حسب الوقائع والأحداث

1. تثبيت فؤاد النبي ﷺ

في قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

2. قراءته بشيء من التريث والتأني والمكث

وذلك حتى يفهم الذي يتلقون القرآن الكريم هذا الوحي ويأخذونه شيئًا فشيئًا ولذلك كان الصحابة -رضي الله عنهم- ينتظروا كل يوم النبي ﷺ إذا صلى الفجر ينتظرون ماذا سيقول يقول أنزل علي البارحة سورة كذا فكانوا يتباشرون في صلاة الفجر أن النبي ﷺ يخبرهم بهذا الأمر.

المدة التي نزل فيها القرآن الكريم على النبي ﷺ

قولان مشهوران : الأول والثاني

- هناك مَن يقول: أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ في عشرين سنة
- هناك مَن يقول: نزل في ثلاث وعشرين سنة
- هناك من يقول: نزل في خمس وعشرين سنة.

دليل القول الأول: عائشة -رضي الله عنها- وابن عباس كما في صحيح البخاري قالا: ﴿لبث النبي ﷺ في مكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرًا﴾ يعني عشرين سنة.

دليل القول الثاني:قالوا: ثلاث عشر سنة في مكة والبقية عشر سنوات في المدينة

ماجاء في البخاري من قول ابن عباس -رضي الله عنهما- ﴿بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة- يعني كان عمره أربعين سنة - فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة﴾ ثلاث عشر في مكة وعشر سنوات في المدينة

كيف نجمع بين الحديثين ؟

مدة الوحي بالمنام والرؤيا الصالحة ستة أشهر: النبي ﷺ أول ما بُدئَ به من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم واستمرت ستة أشهر ثم نزل الملك بالوحي في شهر رمضان بصدر سورة اقرأ ثم فتر الوحي

مدة فتر الوحي : بعض العلماء يقول: سنتين وبعضهم يقول سنتين ونصف ثم تتابع الوحي وتتابع بعد ذلك لمدة عشر سنين

يقول العلماء:

الذين قالوا: مدته عشر سنين حذف مدة الرؤيا والفترة التي كانت ثلاث سنوات فبذلك تكون عشر سنوات في مكةو عشر سنوات في المدينة والثلاث سنوات كانت رؤيا منامية وكان فيه فتور في الوحي فلم يحسبها

الذين قالوا: ثلاث عشرة سنة في مكة فحسبها من بداية الرؤيا الصالحة في النوم

هذا هو الجمع بين القولين وقد ذكر ذلك السهيلي -رحمه الله- في كتابه في السيرة النبوية "الروض الأنف في سيرة النبي ﷺ ".

الصحيح والمشهور أنها نزلت في ثلاث وعشرين سنة يُحسب الثلاث سنوات الأولى من ضمن الوحي ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنوات في المدينة

تابع :من الحكم في نزول القرآن مفرقا

3. تسلية النبي ﷺ بذكر قصص الأنبياء والسابقين من قبله

فلا يكاد النبي ﷺ تمر به أزمة أو يمر به موقف من تكذيب قومه أو صدهم إلا وينزل عليهم قصص أنبياء السابقين ما يثبت به فؤاده ﷺ ولذلك قال الله في سورة هود ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120] لأنه إذا علم النبي ﷺ أن نوح قد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين ولم يؤمن به ابنه ولم تؤمن به زوجته وكذبه قومه سوف يخفف عن النبي ﷺ تكذيب قومه له ثم إذا علم أن نوح جلس تسعمئة وخمسين سنة يهون عليه أنه بقي عشر سنوات أو ثلاثة عشرة سنة هذه لا توازن بتسعمئة وخمسين سنة فالاقتداء بهؤلاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يخفف عن النبي ﷺ ما يشعر به.

4. أمر الله -عز وجل- نبيه ﷺ بالصبر والاحتساب وتبشيره بالغلبة

في قوله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35] وقوله تعالى﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49] وقوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115] وقوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127] أيضًا في قوله ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]

تبشير النبي ﷺ بانه سوف يكون له الغلبة وسوف تكون لك العاقبة ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21] ﴿وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21]

هذه كلها كانت تنزل تباعًا على النبي ﷺ فتثبت فؤاده وتفتح له الأمل وتفتح له آفاق الاستبشار بالنصر ولذلك كان النبي ﷺ لهذا السبب ولهذا الوحي الذي ينزل منجمًا كان أكثر الناس تفاؤلاً ﷺ وأشد الناس تفاؤلاً

5. التدرج في التربية:في تربية الأبناء أو في تربية الطلاب أو في دعوة الناس

ليس من المناسب أن تباده الناس دائمًا بتغيير عاداته وإجبارهم على التخلي عن أشياء تعودوا عليها مباشرة وإنما تاخذ الناس بالرفق واللين خطوة خطوة وهذا أسلوب تربوي كان مستفادًا من نزول القرآن الكريم بالتدرج.

مثال : مراحل التدرج في تحريم الخمر

كان الناس في الجاهلية يشربون الخمر كما نشرب الماء الموجودة في البيوت فهي موجودة في كل مكان يبيعها الناس ويشترونها ما جاء القرآن الكريم من أول الأمر وقال: حرمت عليكم الخمر -مثلاً- وإنما رويدًا رويدًا واستمر في التدرج في تحريمها ربما واحد وعشرين سنة أو اثنين وعشرين سنة

المرحلة الأولى

منذ أن نزل القرآن في مكة جاءت إشارات خفيفة جدًا مثل قوله -سبحانه وتعالى- في سورة النحل وهي سورة نزلت في مكة قال: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: 67]

الله يمتن علينا فيقول: أني خلقت لكم هذه الثمرات وهذا النخيل وهذه الأعناب والتمر والعنب أنتم تتخذون منها شيئين سكرًا ورزقًا حسنًا سكرًا يعني: خمر تأخذون التمر وتأخذون العنب وتضعونها في إناء وتبقى حتى تتخمر ثم تصبح خمرًا ثم تشرب هذه خمر.

والأمر الثاني: أنكم تأكلون التمر وتأكلون العنب بشكل مباشر فهذا رزق حسن

فهذه الآية فيها إشارة خفية جدً إلى تحريم الخمر

- يقول الله ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ ولم يصفه بانه سكرًا حسنًا أو شيء قال ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا﴾ فوصف الرزق بأنه حسن وسكت عن السكر فالعرب تفهم أنه ما دام سكت عن وصف السكر وقال: ﴿وَ رِزْقًا حَسَنًا﴾ فاللبيب يفهم أن السكر غير حسن لكنه ليس محرم

المرحلة الثانية

جاء سؤال آخر في سورة البقرة فقال الله -سبحانه وتعالى- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219]

لم يكن الجواب بالتحريم: فقال الله ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ فهذا الجواب ليس صريحًا في التحريم وإنما فيه إشارة إلى الإثم الذي في الخمر وفيها منافع

ما هي المنفعة التي في الخمر؟ :الواحد الذي يبيع ويشتري يحصل من ورائها خير من المال يعني يحصل ربح وإن كان لا بركة فيه لكن هو بنظر الناس ربح وأيضًا فيها من المنافع ما يشعر به شارب الخمر من النشوة .

لكن الله قال ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾العاقل يفهم من هذه الآية أن الخمر اثمها أكبر من نفعها ولا خير فيها وهذه إشارة إلى أنها محرمة لكنها ليست صريحة في التحريم

المرحلة الثالثة

بعد سنوات ينزل قول الله تعالى في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ﴾ [النساء: 43] يعني لا تقرب الصلاة وأنت سكران طيب وما معنى هذه الآية: تضيق وقت الخمر وشرب الخمر يعني لا يجوز لك أنت تشرب بعد صلاة المغرب لأن صلاة العشاء قريبة من المغرب وسوف تأتي صلاة العشاء وأنت لا زلت فيك آثار الخمر

المرحلة الأخيرة

حرمت الخمر تمامًا بعد أن هيأت نفوس الناس ما جاءت مباشرة حرمت شيء وهو متغلغل في المجتمع وإنما شيئًا فشيئًا سحبت هذه العادة القبيحة قال الله –سبحانه وتعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: 90]

كلمة ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ هي الآية التي حرمت شرب الخمر تحريمًا صريحًا ونهائيًا

فنجحت هذه الطريقة التربوية وأخبرنا الصحابة –رضي الله عنهم– أنها بمجرد نزول هذه الآية ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾أخذ الناس كلهم الخمرَ الذي كان موجود عندهم في البيوت وصبوه في الشوارع وأهرقوه في الشوارع ولذلك قال: سالت طرق المدينة بالخمر لأنه جاء الأمر بالانتهاء عن الخمر بعد أن استقر الإيمان في النفوس وتدرج هذا الأمر سنوات طويلة

6. فضح المنافقين أثناء نزول الوحي

المنافقون الذين كانوا ينخرون في الصف الإسلامي كان القرآن ينزل على النبي ﷺ يُبيِّن ما كان يفعله هؤلاء المنافقون ولذلك الله ذكر في سورة التوبة قال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 64].

مقدار ما ينزل على النبي ﷺ من القرآن الكريم

كان ينزل على النبي ﷺ أحيانًا كلمة واحدة وأحيانًا ينزل عليه آية أو آيتين أو خمس آيات وأحيانًا تنزل سورة كاملة سواء من قصار السور أو من طوال السور

- نزل عليه ﷺ كلمة واحدة في قوله –سبحانه وتعالى–﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ ثم نزل بعد ذلك عندما وقع الخلل في فهمها كلمة ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾
- نزل على النبي ﷺ خمس آيات أول الآيات التي هي من سورة اقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: 1-5]
- قد ينزل على النبي ﷺ سورة كاملة وأكثر ما نزل هذا في قصار السور قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس إنا أنزلناه في ليلة القدر هذه سور قصيرة نزلت كلها جملة أو دفعة واحدة.
- من السور الطويلة التي ورد نزولها جملة واحدة سورة الأنعام وهذا نادر في السور الطويلة أنها تنزل جملة واحدة وسورة الأنعام من هذا

النادر أما البقرة آل عمران فقد نزلت على فترات طويلة جدًا فالبقرة على سبيل المثال بدأ نزولها منذ هاجر النبي ﷺ إلى المدينة واستمر نزولها حتى وفاة النبي ﷺ فبقيت تنزل على النبي عشر سنوات ولذلك بقي بعض الصحابة يقرأها ويدرسها ثمان سنوات مثل عبد الله بن عمر فهي نزلت في عشر ودُرست في ثمان سنوات.

ما هو أول ما نزل على النبي ﷺ من القرآن الكريم؟

للعلماء أقوال :

منهم مَن يقول: الخمس الآيات الأولى من سورة اقرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وهذا هو الراجح وهو الذي عليه أكثر العلماء.

وهناك مَن يقول: سورة المدثر وهناك مَن يقول سورة الفاتحة وهناك مَن يقول: البسملة.

الذين قالوا: المدثر يقصدون أنه بعد فتور الوحي نزلت المدثر أما مطلقًا فهي سورة اقرأ.

ماهو آخر مانزل على النبي ﷺ من القرآن الكريم

هناك خلاف بين العلماء

منهم مَن يقول :أنها قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: 3]

يستدلون بقوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ﴾ قالوا: هذه آخر آية إذن

الصحيح أنها ليست آخر آية الصحيح أنها نزلت في حجة الوداع لكن نزل بعدها آيات أخرى وهي من أواخر سورة البقرة.

هناك من يقول: أنها آخر ما نزل هي ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِّ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِّ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [سورة: النصر]

الصحيح أنها ليست آخر ما نزل ولكنها آخر سورة نزلت كاملة

هناك مَن يقول: أنها آيات الربا في سورة البقرة ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275]

هناك مَن يقول أنها قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِّ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

الصحيح من الأقوال أن هذه الآية هي آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِّ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: 281].وهي مرتبطة بآيات الربا في سورة البقرة

جمع بين الأقوال

- نقول أن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ﴾ صحيح أنها نزلت في حجة الوداع وليس بمقصود إكمال الدين هنا: إكمال نزول القرآن الكريم ولكن إكمال الشرائع العامة الأساسية أما بعض التشريعات البسيطة التي أضيفت في هذه الآيات فهي نزلت بعد ذلك.
- أما القول بأنها آيات الربا ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِّ﴾ فهي أصلاً قطعة واحدة نزلت مع بعض
- أما سورة النصر فهي آخر سورة نزلت كاملة.

هناك أوائل مخصوصة اهتم بها العلماء

- يقولون أول ما نزل في الخمر قوله تعالى ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: 67]
- أول ما نزل في الزكاة كذا أول ما نزل في الحج كذا أول ما نزل في الغنيمة الآيات التي في سورة الأنفال

من أجود ما كُتب في موضوع نزول القرآن الكريم الذي تحدثت عنه في هذه المحاضرة هناك كتاب بعنوان "نزول القرآن الكريم" للأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع وهو بحث متين مطبوع في مكتبة العبيكان هذا الكتاب ناقش المسائل التي ناقشتها أنا وإياكم في هذه المحاضرة بشكل مفصل بالأدلة والبراهين

أسئلة الطلاب

طالب: بالنسبة للتوراة والإنجيل هي أيضًا كلام الله -سبحانه وتعالى- هل كانت معجزة في وقتها؟

الشيخ: أحسنت بالنسبة للتوراة والإنجيل فيعني أكثر العلماء على أنها نزلت جملة واحدة كما قلنا وأما القرآن الكريم فقد نزل جملة واحدة في السماء الدنيا ثم نزل مفرقًا على حسب الوقائع والأحداث فاختلف عن نزول الكتب السماوية ويستدل العلماء على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32] كأنهم يريدون أن يقولون جملة واحدة كما نزلت الكتب السماوية السابقة فالذي نعرفه والمشهور -كما يظنون- أنها نزلت جملة واحدة وإلا بعض العلماء يقول: ليس هذا كافيًا في الاستدلال على أن التوراة والإنجيل نزلت جملة واحدة بعضها نزلت مفرقة هكذا يفهون هذه الدلالة.

أما كونها معجزة في وقتها فليست كذلك ربما أن الإعجاز والتحدي كان في شيء غير التوراة والإنجيل يعني نبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام- جاء بالتوراة ولكن معجزته الكبرى التي تحدى بها فرعون ومَن معه هي العصا وهي اليد والآيات التسعة التي ذكرها الله ﴿وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ﴾ [الأعراف: 133].

فإذن الإعجاز لم يكن مرتبطًا بهذه الكتب السماوية السابقة وإنما كان الإعجاز مرتبطًا بالقرآن الكريم فقط والتحدي مع أن الكتب السماوية السابقة اشتملت على معانٍ وعلى تشريعات عظيمة لا تكون إلا من عند الله -سبحانه وتعالى- ولا يستطيعها البشر لكن نتحدث عن الإعجاز الأسلوبي في أسلوبها كما في هو في القرآن الكريم.